

العنوان:	فلسفة ابن حزم الخلقية
المؤلف الرئيسي:	الدبابسة، حامد أحمد محمود
مؤلفين آخرين:	خليفات، سحبان محمود(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1987
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 208
رقم MD:	550108
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم، محمد بن عبد الله بن علي، ت. 320 هـ، الفلسفة الإسلامية، الفلسفة الخلقية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/550108

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الدباسة، حامد أحمد محمود، و خليفات، سحبان محمود. (1987). فلسفة ابن حزم الخلقية (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الاردنية، عمان. مسترجع من <http://550108/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

الدباسة، حامد أحمد محمود، و سحبان محمود خليفات. "فلسفة ابن حزم الخلقية" رسالة ماجستير. الجامعة الاردنية، عمان، 1987. مسترجع من <http://550108/Record/com.mandumah.search/>

الجامعة الاردنية - كلية الاداب

قسم الفلسفة

فلسفة ابن حزم الخقيصة

اعداد

حامد احمد محمسنود الديابسة

اشراف

الدكتور / سسحبان خليفات

مم (قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفلسفة) مم

عمان - الاردن

م ١٩٨٧

اليهداء

الى مَدَحُحُمَا لِي بِالرَّعَايَةِ صَغِيرًا
وَالْحُبَّةَ كَبِيرًا

... الى والدي ووالدي

المقدمة

حظي ابن حزم باهتمام الباحثين المعاصرين، عرباً ومستشرقين، وقد درس هـسولاً جوانب مختلفة من فكره الموسوعي الذي شمل الدين ، وعلم الكلام ، والفقه وأصوله والتاريخ ، والحضارة والأدب ، والحب ، والسياسة والأنساب ، والفلسفة ، والمنطق والاخلاق.

وقد بدأ اهتمام الباحثين المعاصرين بابن حزم بنشر مؤلفاته . ولعل أبرز من عني بهذا المجال، الدكتور احسان عباس ، الذي نشر ماينيف على عشرين رسالة ، والطاهر مكسي، والصيرفي ، ٠٠٠٠ . وإذا كانت بحوثه الفقهية والكلامية، قد حظيت بشيء من الدراسة المنهجية، ففي عصرنا، فإن فلسفته الخلقية لم تنل على أصالتها اهتماماً مماثلاً ، وقد اكتفى الباحثون في فلسفة ابن حزم بالإشارة المقتضبة ، أو المقسولات القصيرة (١) أو حتى السرد الأدبي (٢).

لاريسب في ان ابن حزم، هو أبرز شخصية فلسفية بين رجال الطبقة الأولى، في الفلسفة العربية في الأندلس، إذ حاول بناء فلسفة خلقية متكاملة أثرت في كثير من الفلاسفة والفقهاء من بعده . ومن هنا كان اهتمامي بالكشف عن عناصر هذه الفلسفة، وبيان مكانتها في تاريخ الفكر الفلسفي في الأندلس بخاصة، والفكر الفلسفي العربي بعامه .

(١) انظر على سبيل المثال :-

أ - محمد ابوزهره : ابن حزم ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٤م ، من ص ١٧٢ - ١٩٣ .

ب - عبدالحليم عويس ، : ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، دار الاعتصام ، ١٩٧٨م ، من ص ١٤١ - ١٤٢ .

ج - عبد اللطيف شراره : ابن حزم رائد الفكر العلمي ، المكتب التجاري للطباعة بيروت من ص ١٠٦ - ١٠٩ .

د - Nykle, A.R. "Abn Hasm's Treatise on Ethics." The American Journal of Semitics Languages and literatures. Vol.40 1923-1924P.P30-36

(٢) مثال ذلك : د. صلاح الدين بسيوني رسلان: الاخلاق والسياسة عند ابن حزم، مكتبة نهضة

الشرق ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م ، من ص ١٧٥ - ٢٨٨ .

لم يعرض ابن حزم لفلسفته الاخلاقية، في مؤلف واحد جامع، بل توزعت مادة فلسفته في معظم مؤلفاته . ومن هنا كان واجبا عليّ ان أرجع لمؤلفاته كافة ، المطبوع منها والمخطوط ، ما اتصل بالأخلاق صراحة وما اتصل بالفقه ، والادب وعلم الكلام ، والفيلسوف صاحب نزعة موسوعية . إن كتابه " الفصل في الملل والاهواء والنحل " كتاب في تاريخ الأديان وعلم الكلام ، وقد عرض فيه مع ذلك لواحد من أخطر الموضوعات في الفكر الاسلامي ، أعني حرية الارادة الانسانية ، اضافة الى مواضيع أخرى ذات صلة بالتربية ، ونظرية القيم ، والنفس . أما مؤلفاته الفقهية فتضم في الواقع نظرات اخلاقية هامة ، فضلا عن كونها التطبيق العملي لأفكاره النظرية ، وأبرز هذه المؤلفات كتاباه " المحلى " و " الاحكام في أصول الأحكام " . اما كتاب " طوق الحمامة " فقد عرض فيه المفاهيم الاساسية لنظريته في الحب ، بما يتفق مع النظرية العامة في النفس

لقد خصص ابن حزم للأخلاق كتابا خاصا هو " الاخلاق والسير " ، حيث حدد فيه معالم نظريته الخلقية ، ومعاني الخير والشر ، وأنواع الفضائل والردائل ، ومعنى المداقة . واستفاد في هذا المؤلف من الفلسفات القديمة ، وخلاصة ما أدت اليه المشاهدة والخبرة .

ان المنهج الذى اعتمدته في اعداد هذه الدراسة هو المنهج التاريخي فقامت بتجميع المادة من كتبه المختلفة ، وربطها مع بعضها بعضا وتحليلها ، وحاولت جاهدا تبين المصادر المحتملة والمرجحة لفلسفته مثلما بينت أثرها في اللاحقين .

اشتملت الدراسة على ستة فصول ، تناول الاول منها سيرة ابن حزم ونشأته ، وتطوره الفكري ، ومؤلفاته ، حيث اعددت قائمة بمؤلفاته الموجودة والمفقودة ، واجتهدت في أن تكون الأوفى بمستفيدا من اكتشاف بعض المخطوطات ، مثل " الايصال " و " جمل فتوح الاسلام " و " الاعراب "

اما في الفصل الثاني فقد عرضت لنظرية النفس عند ابن حزم ، فبينت طبيعتها "الجسمية" ، وأدلة وجودها ، وعلاقتها بالبدن ، وأسبقيتها في الوجود .

وتحدثت في الفصل الثالث عن الجانب الميتافيزيقي في الفعل الانساني، والذي يتمثل بالعلم الالهي المسبق ، وحرية الارادة الانسانية . وبينت قول ابن حزم بالعلم الالهي السابق والأزلي ، وصلته هذا العلم بالفعل الانساني . ان علم الله السابق ليس مرتبطا بالاشياء في تغيرها ، ليصير بدوره متغيرا . ومن هنا كان لابد من معالجة العلاقة بين هذا العلم ، وحدث الاشياء ، والأفعال . وقد طرح ابن حزم مقولة " الأمر الالهي للتوفيق بين العلم المطلق من جهة، ووجود الاشياء والأفعال من جهة الاخرى ، فالأمر الالهي عنده ليس قديما كالعلم ،

كما عالجت في هذا الفصل موضوع " القضاء والقدر " ، حيث يرى ابن حزم ان جزءا من المشكلة ناجم عن الفهم اللغوي غير السوي لها . لذا فانه يحدد معنى هذين اللفظين، ويبين ان الله قد خلق الموجودات في نسق من العلل والمعلولات . فلا تكون الاشياء الا وفق قوانينها ، ولا دخل للانسان في هذا ، كما أعطى الله للاشياء والأفعال مكانة خلقية ، فكان الحُسن والقبح ، والخير والشر ، والحمد والذم . ويخلص ابن حزم من هذا كله الى أن القضاء والقدر ليسا الا ترتيب الخلق على صفات مخصوصة الى أوقات معلومة ، واعطاء الاشياء والأفعال قيما خاصة بها .

تتصل مشكلة حرية الارادة الانسانية بالاستطاعة أو القدرة . وقد نفى ابن حزم ان يكون الانسان خالقا لفعله ، كما قالت المعتزلة ، أو أن يكون الفعل مخلوقا فيه كما قالت المجبرة ، فقد رأى ان لوجود الفعل شروطا ، بعضها يتمل بالانسان ، وبعضها الاخر يتمل بالله .

وقد وصلت بهذا البحث بحثا في المسؤولية الخلقية للانسان، عن افعاله الخارجية الارادية ، والباطنية أيضا ، وبينت التي تقع على الافعال المادية الخارجية ثم بينت ان الانسان غير مسؤول عن الأفعال المتولدة، لأنها من خلق الله، لا من فعل الانسان .

اما الفصل الرابع ، فقد بينت فيه دور العقل ، ومكانته في الاخلاق ، والتربية الخلقية . وابتدأت ببيان معنى الخير والشر ، وامكانية التباس احدهما بالآخر

مثلما عرضت لعلاقة الخير في ذاته بالسعادة . لقد رأى ابن حزم ان الخير في ذاته هو دفع الهم الذي هو السعادة الانسانية، وقد عرضت من ثم لنظرية الفضيلة عنـد الفيلسوف فبينت ماهيتها ، والوسائل التي تكتسب بها ، واقسامها وهي : العدل ، والفهم ، والنجدة ، والجود . وقد بينت صلة هذه النظرية في كتابات افلاطون وارسطو ، والرواقبيين .

لقد اهتم بالانسان فعرض للتربية التي تقوم على اساس التسليم بقدرة الانسان على اتيان الافعال وتغيير السلوك ، فبينت ان ابن حزم قد فرق بين الطبع والتطبع ، وقال إن في وسع الفرد ان يبني حياة خلقية سامية، وفق معايير خلقية تعلمها في صغره ، او تبناها فيما بعد . وقد بينت أهداف التربية الخلقية ، وهي اهداف مشتقة من فلسفته الخلقية ، وفكره الديني ، وتتمثل في تحقيق السعادة الانسانية في الدنيا ، والفسوز بالجنة في الآخرة .

يعتبر ابن حزم من أبرز المفكرين العرب الذين بحثوا في الحب ، ويتضح هذا من الشهرة الواسعة التي حظي بها كتابه " طوق الحمامة " . وقد خصصت الفصل الخامس للحديث عن الحب والصداقة ، باعتبارهما من أبرز المعاني الخلقية . اما الحب فقد عرضت فيه لنظرية ابن حزم ، وان أساسها هو القول باسبقية النفس على الجسم فـسـى الوجود . ومن ثم فان الحب استمرار لعلاقة كانت قائمة في العالم العلوي ، ويبرزها النظر ، ويعززها الجمال . وقد درست فضلا عن هذا ، ظاهرة الحب كما صورها ابن حزم فتحدث عن المحب ، والمحبيب ، والحب ذاته ، ودور المجتمع وأثره في نمو هـذه العلاقة ، أو ضمورها وزوالها ، فتحدثت عن دور الاصدقاء والسفراء ، والاخوان الناصحين والوشاة ، والنامامين ، والعدال ، والرقباء . وبينت مدى تأثير الحب في تغيير السلوك الخلقي للمحبين ، ايجابا وسلبا ، وأن الحب في جوهره تجربة خلقية . ان الحب يقلب البخيل جوادا ، والقذر جميلا ، والعبي لسنأ ، والعجوز فتيا ، والجبان شجاعا .

اما في الجزء الثاني من هذا الفصل قد تحدثت عن الصداقة عند ابن حزم ، فعرضت لمعناها وشروطها ، واشكالها ، مثل صداقة اخوان الصفاء ، وأهم صورها المحبة في الله والصحة للمحبة عينها ، واطار هذه الصداقة اخلاقي بحث . اما النوع الثاني فهو صداقة المنفعة ، وتضم العلاقات الاخرى ، المؤسسة على المنفعة ، واللذة والاشتراك في المصالح ، مثل صداقة صاحب المائدة ، والسلطان ، وندماء الخمر ، والمجتمعين على

المعاصي . وقد انتهت من هذا الى بيان الدور الخلقى الذى يلعبه المديق فى حياة
الاخسر، وكشفت عن المصدر الارسطى فى كثير من آراء ابن حزم الخلقية فى هذا المجال .
اما الفصل الاخير فقد قسمته الى مبحثين ، خصصت الاول للحديث عن المصادر
اليونانية لفلسفة ابن حزم الخلقية ، وتتركز هذه فى كتابات افلاطون وارسطو ، ونظرية
جسمية النفس المستمدة من النظرية السدرية . لقد عرفت كتابات افلاطون ، وارسطو
فى الاندلس إثر النهضة الثقافية التى قادها الأمير الأموى الحكم المستنصر (- ٣٦٦ هـ)
والتي جلبت خلالها الكتب المترجمة فى المشرق . وتتبدى معرفة ابن حزم بالمؤلفات
اليونانية من قوله ... " وجدنا فى كتب بطليموس ، وفى كتب العجم القديمة " (١)
أو من نقله نصوصا لافلاطون أو ارسطو أو غيرهما .

يتبدى أثر افلاطون فى نظرية النفس ، وقواها ، ونظرية الفضيلة ، والحب . كما
يتضح أثر ارسطو فى تعريف ابن حزم ، للفضيلة بأنها وسط بين رذيلتين ، وفى حديثه
عن قوى النفس ، والمداقة وأشكالها .

اما الأثر اليونانى الاخير ، فيتمثل فى قول ابن حزم بجسمية النفس . ومعلوم ان
هذه النظرية ترجع الى ديمقريطس ، وهيراقليطس ، والمدرسة الابيقورية . وقد عرفت
المسلمون فى المشرق وتبناها بعض علماء الكلام ، مثل النظام . ويبدو ان ابن حزم قد
اطّلع عليها من خلال كتاب النفس لارسطو ، وكتاب الآراء الطبيعية المنسوب الى افلوطرخس
وآراء النظام فى الجزء الذى لا يتجزأ .

اما فيما يتعلق بالمصادر الاسلامية فقد تأثر ابن حزم بالمعتزلة ، فى مسائل
العلم الالهى ، والاستطاعة ، لقد اخذ عن المعتزلة قولهم ان الاستطاعة تكون قبل الفعل
ومع الفعل ، وتبرز فى صحة الجوارح ، وارتفاع الموانع . وقد ذهب الاشاعرة فى المقابل
الى محاولة التوفيق بين الخلق الالهى ، والفعل الانسانى ، فقالوا بالكسب ، وهذا ما قال
به ابن حزم أيضا .

اتفق ابن حزم مع عدد من الفلاسفة المسلمين فى بعض آرائهم ، ومن هؤلاء الفارابى
فى تحديده لقوى النفس الانسانية ، وتوحيده بين العقل والفضيلة ، وتصنيف الناس اخلاقيا .
اما ابن سينا فقد وضع أدلة كثيرة لاثبات وجود النفس ، وبيان طبيعتها ، وخطودها

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف

وينبذ وفي هذا الصدد اتفاقا واضحا بين الفيلسوفين في هذه الأدلة .

وقد تناولت في المبحث الثاني من الفصل الاخير، أثر ابن حزم فيمن أتى بعنونه من المفكرين والفلاسفة ، وبخاصة في مسألة حرية الارادة ، والتوفيق بين الدين والفلسفة فوجدت هذا التأشير واضحا في كتابات ابن السيد البطليوسي ، ولاسيما في كتابه " المسائل والاجوبة " ، وابن رشد في كتابه " فصل المقال " و " الكشف عن مناهج الادلة " وقد ظهر تأثير نظريات ابن حزم واضحا في بعض فقهاء المشرق كابن تيمية الذي اتفق مع رأي ابن حزم في القضاء والقدر ، وان الانسان ليس مجبرا ولا مخيرا ، بل يمثل منزلة بين الجبر والتفويض .

لاشك ان أبرز من سار على خطى ابن حزم هو ابن القيم الجوزية، في دراسته للحسب ونظريته في النفس وجسميتها ، حيث تبين الدراسة المقارنة انه قد بنى نظريته على ما جاء في كتاب " الفصل في الملل والاهواء والنحل " من آراء وأقوال ، كما أشسرت آراء ابن حزم في الحب في كتابات ابن الجوزي (- ٥٩٧ هـ) وابن الدباغ (- ٦٩٦ هـ) ، والنويري (- ٧٣٣ هـ) ، وخوان رويث الاسبا ني .

لقد حاولت ، في خاتمة البحث، أن ابين مدى اصالة فلسفة ابن حزم الخلقية من خلال حجم اعتماده على السابقين من جهة ، وحجم تأثيره في اللاحقين من جهة اخرى ومدى جدة افكاره .

لقد واجهت في هذه الدراسة مصاعب جمة اقلها تناثر مادة البحث في الكتب والرسائل المطبوعة والمخطوطة . وأنا مدين بالشكر للاستاذ المشرف الدكتور سحبان خليفات ، على توجيهاته التي مكنتني من اكمال البحث على الصورة التي هي عليه ، وعلى مازودني به من مخطوطات .

كما واشكر كل من اسهم في نجاح هذه الدراسة ، وخص بالذكر اولئك الذين عملوا على تحقيق رسائل ابن حزم ، وجعلوها في متناول الباحثين ، ولايسعني الا ان اشكر الجامعة الاردنية على مساعدتها لي بالمنحة التي حصلت عليها ومكنتني من التفرغ لانجاز هذه الدراسة .

واخيرا فانني ارجو ان تكون هذه الدراسة اسهاما نافعا في مجال دراسة فلسفة ابن حزم بخاصة ، والفكر العربي الاندلسي بعامة .

ابن حزم واحد من المفكرين القلائل الذين تميزوا بدقة التفكير وصراحتهم، وبشدة التمسك بمنهجه، وأفكاره، وتتضح هذه الحقيقة لكل من يقرأ سيرته، مذبداً رحلته العلمية، وحتى انزوى في بلدته الصغيرة، فالمطاردات والتشنيعات وسوء الفهم، والتكفير الذي تعرض له، وتحريق كتبه، لم يزعزع ايمانه بصدق دعواه، وجدوى المنهج الذي يسير عليه .

١- سيرة ابن حزم:

أ - اسمه ومولد:

هو علي بن أحمد بن سعيد بن غالب (١) بن صالح بن خلف بن معدان ابن سفيان بن يزيد الفارسي (٢)، وكنيته ابو محمد، وشهرته ابن حزم . " وأصل آبائهم الأندلسيين من قرية منت نشيم من اقليم الزاوية من عمل أوله، من كورة لبلة (٣) هكذا ورد اسم ابن حزم عند معاصريه، ومن تتلمذ عليه، فهذا هو الاسم الذي كان مشهوراً به قبل وفاته .

أما تاريخ مولده فثابت، لم يختلف فيه، لأن ابن حزم نفسه قد سجله في رسالة بعث بها الى معاصره، ابن صاعد الاندلسي (- ٤٦٢ هـ)، يقول فيها: " انه ولد بعد صلاة الصبح، وقبل طلوع الشمس، آخريوم من شهر رمضان، من سنة اربع وثمانين وثلاثمائة " (٤)، في مدينة قرطبة، وقد ذكر تلميذه المخلص ابو عبد الله الحميدى

(١) الحميدى، ابو عبد الله محمد بن فتوح الحميدى: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، القاهرة، تاريخ المقدمة ١٣٧١ هـ سلسلة تراث الاسلام، ص ٢٩٠، وسيشار الى هذا المرجع هكذا: الحميدى جذوة المقتبس . وقد ورد هذا الاسم في طوق الحمامة تحقيق حسن كامل الصيرفي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م، ص ٩٢ . وسيشار اليه ابن حزم: طوق الحمامة .

(٢) صاعد بن أحمد، التغلبي الاندلسي: طبقات الامم، تقديم محمد بحر العلوم، المكتبة الحيدرية النجف، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، ص ٩٨ . وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا صاعد: طبقات .

(٣) صاعد: طبقات، ص ٩٨ .

(٤) صاعد: طبقات، ص ١٠٠ .

-- ٤٨٨ هـ) التاريخ نفسه باليوم والسنة (١).

ب - نسبه

اختلف الدارسون في أصل ابن حزم ، فذهب فريق يمثل معظم المؤرخين ، والدارس المسلمين الذين عاصروا ابن حزم ، او اتوا بعده ، الى انه من أصل فارسي (٢) ، وسسـلـر الباحثون العرب المعاصرون على ذلك ، إلا من درس على المستشرقين ، او اخذ عنهم (٣).

أما الفريق الثاني فيمثلـه ابن حيان ، الذي يكاد ينفرد بين المؤرخين المسلمين بنفي فارسية ابن حزم ، حيث شك في هذا قائلـا : " كان من غرائبـه انتماؤه في فارس حتى تخطى عليّ هذا رابية ليلة ، فأرتقى قلعة اصطخر من ارض فارس ، فـالـهـ

(١) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٩١.

(٢) من بين من ذكر هذا النسب : صاعد : طبقات ، ص ٩٨ . والحميدى : جذوة المقتبس ص ٢٩١ . والذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (- ٥٧٤٨ هـ) : سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، محمد نعيم العرقسوس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ١ ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٤ . والرائشي ، ابو محمد عبدالواحد : تاريخ الاندلس ، او المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، الطبعة المصرية (١٣٢٤ هـ) ، ص ٣٠ . وابن حجر ، شهاب الدين احمد العسقلاني (- ٨٥٢ هـ) : لسان المميزان ، مؤسسة الاعلمي بيروت لبنان ، ١٩٧١ ، ج ٤ ص ١٩٨ . والـضـبي ، احمد بن يحيى (- ٥٩٩ هـ) : بـفـيـة الملتمس في تاريخ رجال الاندلس ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ م ، ص ٤١٥ . وابن بشكوال ، ابو القاسم خلف ابن عبدالواحد (- ٥٧٨ هـ) : كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٦٦ م ، القسم الثاني ، ص ٤١٥ . وابن خلكان ، شمس الدين بن محمد (- ٦٨١ هـ) : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، (١٩٧٠ م) ج ٣ ص ٣٢٥ . وياقوت : معجم الادباء ، دار احياء التراث العربي ج ١٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ . وابن العماد الحنبلي (١٠٨٩ هـ) : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٣ ص ٢٩٩ . وابن تغري بردي ، جمال الدين ابوالمحسن (- ٨٧٤ هـ) : النجوم الزاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ج ٥ ص ٧٥ . وابن كثير : البداية والنهاية : مكتبة المعارف ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ، ج ١٢ ص ٩١ .

(٣) من هؤلاء : د. طه الحاجري في كتابه ابن حزم ، صورة اندلسية ، دار الفكر العربي ، ص ١٧ . ود. عمر فروخ في كتاب :

A History of Muslim Philosophy, edited and introduced by M.M. Sharif. Otto, Harrassowitz, Weisbaden, Germany, 1963 Vol. 1. P. 280.

أعلم كيف ترقىها...". (١)

تلقف بعض المؤرخين الاسبان المعاصرين ، والمستشرقين هذا النص ، وحاولوا تخريجه على نحو يسمح بنسبة ابن حزم الى الاسبان ، مع ان كل ما يفيد النص ، هو ان ابن حزم ليس فارسي الاصل ، ومن ثم فانه ربما يكون عربيا ؟ من هنا يستغرب المرء محاولة رد نسبه الى اصل اسباني ، علما بانه ليس لدى هذا الفريق من دليل سوى اشارات الى اخلاقه ، ومزاجه ، وكأن مزاجا بعينه ، وقف على الاسبان دون الشعوب الاخرى ، وترغم هذا الفريق من المعاصرين ، المؤرخ الاسباني سانتشت البرنس^(٢) ، الذي ترتبط دعوتـه بالنظرية التي تبناها فيما يتعلق ببناء الثقافة الاسلامية ، وخلصتها : " ان ابنـاء الشعوب المفتوحة هم الذين صنعوا تاريخ الاسلام ، بينما واصلت غالبية العرب حياتهم في جزيرتهم شبه الصحراوية ، دون ان يتلقوا الحضارة التي صنعها المتحدرون من اصـلاب مَنْ انهزموا أمام الاسلام " (٣) . ومن هنا جعل افكار ابن حزم في النصرة ، والدفع عن الدين ، والحريم ، والجار المضطهد ، والمستجير المظلوم ، والمال ، (مما ورد فـي كتاب مداواة النفوس) ، براهين قاطعة على أصله الاسباني ، بدعوى مشابهة هذه السجايـا لشخصية دون كيكوتيـه^(٤) . وهذا هو موقفه ايضا من دعوة ابن حزم الى مجانية النـاس عند الاختلاف مع الالتزام بالجانب الالهي ، فمع ان المبدأ من أساسيات الاسلام ، إلا ان

(١) ابو الحسن ، علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢هـ) : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م . القسم الاول المجلد الاول ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) ومن هؤلاء المستشرقين ايضا : غارسيا غومس ، اجناتس جولدزيهر في مقالة له فسي موسوعة الدين والاخلاق ج ٧ ، ودوزي ، ذكره (د. زكريا ابراهيم : ابن حزم الاندلسي ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، سلسلة اعلام العرب رقم ٥٦ ، ص ٢٩ - ٣٠) . وكارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيلـه امين فارس ، ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة (١٩٦٨م) ، ص ٣١٣ .

(٣) د. الطاهر احمد مكي : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الثالثة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

البرنس يعتبره خلقا اسبانيا ، كما هو وقف عليهم دون سائر الخلق (١) .

ومما يقترب من الدعوة السابقة قول بعض المعاصرين : ان " ابن حزم مسمى أصل غير عربي ، اسباني على كل الاحتمالات ، لكنه يفضل ان يربط نفسه بمولى فارسي ليزيد ابن ابي سفيان " (٢) . وقول آخر : انه " يطيب لابن حزم نفسه ان ينتسب الى يزيد " (٣) .
او أنه هو نفسه قد عمل دائما على اخفاء هذا الاصل " (٤) ، او ان عائلة ابن حزم اسبانية ، لكنها رأت منذ الفتح الاسلامي ان تسير في ركاب انفتاحين ، نشرت ديون الاباء ، وحاولت اخفاء أصولها وتلفيق أصل جديد . والقول الفصل - كما يقول هذا الباحث - أن أصل ابن حزم . " يعود الى عائلة اسبانية من المولدين ، يعودون أصلا الى نبلة ، وجده الأعلى المعروف بحزم ، ارتد عن النصرانية ، التي ولد عليها ، واعتنق الاسلام ، ولكن العائلة ، اخيرا انكرت أصلها النصراني ، ولفقوا لأنفسهم أصلا فارسيا " (٥) .
يتبين من الاقوال السابقة ان أصحابها ، لم يعتمدوا على أدلة مافي اثبات نسبه الاسباني ، او دحض نسبه الفارسي ، بل انطلقوا من " قناعة ذاتية " ، وقاموا بتحويل كل ما يخالفها ، حتى ادعوا العلم بنوايا ابن حزم ، وأنه " يفضل " ربط نفسه بالفرس دون ان يصرح هو بذلك - او انه " يطيب له " ذلك . ومن هنا يبقى السؤال قائما : هل كان ابن حزم فارسيا ، أم عربيا ، أم بربريا ؟ أما الاصلان الاخيران ، فلم يُشهر اليهما احد ، واما نسبه الفارسي ، فلا بد من التدليل عليه :

لقد ذكر ابن حزم نفسه ، هذا النسب ، ورواية الشخص هي " أوثق المصادر في الحديث عن نفسه " (٦) . وابن حزم عالم في التاريخ ، والانساب ، وفقهه ، ومفكر يعرف قيمة

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٥ ، وللمزيد من الاصلاح على آراء وحجج البرنس خاصة . انظر

دراسة للبرنس بعنوان : " ابن حزم قمة اسبانية " من ص ١٣٩-١٨٢ .

(٢) A History of Muslim Philosophy, ed by sharif P. 280

(٣) هنري كوزيان : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة نصير مروة وحسين قبيسي ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط ١٩٦٦ م ، ص ٣٣٦ .

(٤) زكريا ابراهيم : ابن حزم الاندلسي ، ص ٢٩ .

(٥) I. Goldziher, "Ibn Hasm" in Encyclopedia of Religion and Ethics edited by James Hastings, New York. Charles Scribners , 1962 Vol. VII , P. 70.

(٦) د. عبد الحليم عويس : ابن حزم الاندلسي ، ص ٥٣ .

القول الحق ، فهو رجل جدير بأن يصدق فيما يقول ، لاسيما وأنه قد عُرفَ بأنه رجل " منزّه عن تعمد الكذب " (١) . لقد اورد ابن حزم نسبة الفارسي ، في بيتين من الشعر يقول فيهما :

سأبي ساسان ودارا وبعدهم
قريش العلى اعياصها والعنابس
فما اخرت حرب مراتب سوددى
ولا قعدت بي عن ذرى المجدفارس (٢)

وقال المراكشي - بعد ان اورد اسمه كاملا - نقلا عن الحميدى : " قريش عليّ نسبة هذا بخطه على ظهر كتاب من تصانيفه " (٣) ، ونعتقد ان في هذا دليلا كافيا على أصله الفارسي .

خلاصة القول إن نسب ابن حزم ثابت في رواية صاعد الاندلسي (٤٦٢هـ) ، والحميديدى (٤٨٨هـ) ، وجاءا بالرواية نفسها تقريبا ، واعتمد عليهما معظم المؤرخين -
اللاحقين .

ج - نشأة ابن حزم وثقافته :

كان والد ابن حزم من بين وزراء الحاجب المنصور ابن ابي عامر ، وقد استطاع ان يحقق لنفسه ولاسرتة مركزا مرموقا ، " عمّده بالخلال الفاضلة من الرجاحة ، والمعرفة والدهاء ، والرجولة ، والعقل " (٤) .

حين ولد علي بن حزم ، قامت الجوارى بتربيته وخدمته في طفولته ، وبداية شبابه ، فشاهد الدنيا من خلا لهن ، وتعرف على الحياة على ايديهن ، وسقى من علمهن . وقد ذكر فيلسوفنا هذا كله حين قال : " هن علمني القرآن ، ورويني كثيرا من الاشعار ودربني في الخط ، ولم يكن وكدي ، واعمال ذهني ، مذ أول فهمي وانا في سن الطفولة جدا ، الا تعرف أسبابهن ، والبحث عن اخبارهن وتحصيل ذلك ، وانا لا انسي شيئا

(١) ابن حزم الاندلسي : رسائل ابن حزم ، تحقيق د. احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ (١٩٨٠) ، ج١ ص ٤٠ ، وسيشار الى هذا المصدر هكذا : رسائل ابن حزم ، والاشارة الى الطبعة الاولى للأجزاء الاربعة .

(٢) د. احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، دار الثقافة ببيروت ط١ ، ١٩٦٠ م ، ص ٣٣١ .

(٣) المراكشي : المعجب ، الطبعة المصرية (١٣٢٤هـ) ، ص ٣٠ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة القسم الاول ، المجلد الاول ص ١٤٢ .

مما اراه منهن " (١).

عاش ابن حزم حتى الثانية عشرة من عمره ، حياة القصر المترفة ، فانطبعت نفسه على اللين ، والصدق ، والعاطفة الحادة ، والانفعال بالجمال ، في ظل القيم الخلقية التي حرص والده على ترسيخها في نفسه . والدليل على ذلك قوله : " كنت وقت تأجج نار الصبا ، وشرة الحداثة ، وتمكن غرارة الصبا ، مقصورا ، محظرا عليّ ، بين رقباء ورقائب " (٢) . الامر الذي جعله يعيش بين تيارين متضادين ، احدهما : تدعو اليه الطبيعة والغريزة ، وتقوده النفس ، والاخر تدعو اليه الشريعة ، ويقوده العقل . وفي هذا الجو تكونت شخصية ابن حزم ، وطبعت نفسه على اخلاق رافقته طوال حياته .

تعلم ابن حزم ان يغلب عقله على هواه ، فلم يتعد حدود الاخلاق والدين ، ولم يهادن احداً رآه على باطل ، ولم يتقرب من أمير ظالم . ومن الاثار التي تركتها هذه المرحلة في نفسه ، سوء الظن الشديد بالناس ، وربما يرجع ذلك لما لحظه من ازدواج في شخصية جوارى القصر * اولما كان يسمعه من حديث والده عن الناس .

تعلم ابن حزم مبادئ القراءة ، والخط ، وحفظ القرآن ، ورواية الشعر ، على ايدي جوارى القصر (٣) ، ولما بلغ وماك نفسه ، على حد تعبيره ، خرج لأخذ العلم عن العلماء . وكان " اول سماعه من ابي عمر أحمد بن محمد الجسور " (٤) . قبل الاربعمائه (٥) ، وقد تعلم منه الحديث ، وروى عنه في المحلى ، والطوق ، وتعلم التاريخ أيضا ، حيث كان ابو عمر على دراية واسعة في هذا العلم ، اضافة الى امامه بالادب والشعر .

(١) ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٢٦ .

* سنناقش هذا فيما بعد .

(٣) ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ٥٠ .

(٤) ابن الجسور ، هو ابو عمر احمد بن محمد يعرف بابن الجسور الاموي ، محدث

توفي سنة ٤٠١ هـ . انظر : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٠٠ .

(٥) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣٠٨ .

ودرس على الفاسي (١)، الذى مدحه ابن حزم . وقال عنه : " ما رأيــــــــــــــــت مثله علما ،وعملا ودينا وورعا ، فنفعني الله به كثيرا ،وعلمت موقع الاساءة ،وقبح المعاصي " (٢) .

ودرس فيلسوفنا ايضا على عبدالله بن عبدالرحمن بن الجحاف المعافى ، وهو "فقيه" ذكره (ابن حزم) وروى عنه الحديث ،وقال : هو افضل قاضي ،رأيته ديننا وعقلا وتعاوناً،مع حظ وافر من العلم، مات قريبا من الاربعمائة " (٣) . ومن اساتذته في هذه الفترة ،ابن وجه الجنة (٤) ، وكان محدثا ، وابن الغرضي (٥) ،الذى علمه العربية ، والحديث .

.... وبعد موت الحاكم العامرى الثاني ،المظفر عبدالملك بن ابي عامر، تسلم عبدالرحمن شجول الحكم .ورأى هذا ان طموحه اكبر من منصب الحجابة ،فسعى الى ولاية العهد (٦) ، الأمر الذى أغضب الامويين فشاروا على العامريين ،وبهذا بدأ عصر الفتنة الذى دمر ازدهارا عمراً مئات السنين .

ومع اشتغال الفتنة ،عاش ابن حزم حياة جديدة مختلفة ، حل فيها الخوف محل

(١) هو الحسين بن علي الفاسي ، ابو علي ، من اهل العلم والفضل ، كان يدرس العلم للمثوبة ، اثنى عليه ابن حزم ، انظر : الحميدى : جذوة المقتبس ص ١٨١ .
(٢) ابن حزم : طوق الحمامة ص ١٢٦ .

(٣) الضبي : بغية الملتبس ص ٣٤٦ ، وابن بشكوال : الصلة ، القسم الاول ص ٢٦٣ .
(٤) ابن وجه الجنة ، هو يحيى بن عبدالله بن مسعود بن موسى بن وجه الجنة ، محدث توفي سنة ٤٠٢ هـ . انظر : الصلة ، ج ٢ ص ٦٦٣ . وسير اعلام النبلاء ، ج ١٧ ص ٢٠٤ .
(٥) ابن الغرضي ، هو ابوالوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الازدى ، كان حافظا متقنا وعالما أديبا ، توفي سنة ٤٠٠ هـ ، انظر : جذوة المقتبس ص ٢٣٧-٢٣٨ . الصلة ق ١ ص ٢٥١ .
(٦) ابن عذارى المراكشي (٦٩٥ هـ) : البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق إلقي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ٣ ص ٣٨ . وانظر خبر ثورة الامويين على العامريين ص ٥٠ - ٧٤ .

الأمن ، والتنقل محل الإقامة، فبعد ثورة محمد المهدي (١)، ضد عبدالرحمن العامري انتقلت اسرة ابن حزم من الجانب الشرقي في قرطبة الى الدور القديمة في الجانب الغربي (٢).

وفي الوقت نفسه شار سليمان بن الحكم المستعين بالله (٣)، فاصحت الاندلس بعمامة وقرطبة بخاصة، ميدانا للصراع ، ووقع الناس بينهما فتارة يدخل هذا قرطبة وتارة اخرى يدخلها ذاك، والاهالي هم الضحية، وقد وصف المراكشي هذا الحال، أثناء حديثه عن المستعين بالله . فقال : " لم يزل يجول بعساكر البربر معه في بلاد الاندلس ، يفسد وينهب ويقتل المدائن ، والقرى، بالسيف والغارة، لا يبقوا على صغير ولا كبير، ولا امرأة ، الى ان دخل قرطبة في صدر شوال سنة ٤٠٣هـ " (٤)، وقد تحدث ابن حزم نفسه عما نال اسرته ومساكنها من هذا فقال : " اخبرني بعض الوراد من قرطبة، وقد استخبرته عنها، انه رأى دورنا ببلاط مغيث، في الجانب الغربي منها، وقد امتحت رسومها وطمست معالمها ، و خفيت معالمها وغيبرها البلى، وصارت صحارى مجدبة ، بعد العمران ، وفيها في موحشة بعد الانس ، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعابا مفرعة بعد الامن، وماوى للذئاب، ومعارف للغيلان، وملاعب للجبان، ومكامم للوحوش، بعد رجال كألبيوث، وخرائب كالدمى، تغيثهم النعم الفاشية " (٥). ولعمل

(١) محمد المهدي : هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر قام على هشام بن الحكم في جمادى الاولى سنة ٣٩٩ هـ . وبقي كذلك الى ان قام عليه في شوال ٣٩٩ هـ، هشام بن سليمان بن الناصر مع البربر وساندته العمامة من أهل قرطبة فأنهزم البربر، وقام البربر عليه مرة ثانية مع سليمان بن الحكم المستعين بالله واستعانوا بالنصارى. وقتل مع واضح المقلبي في ذى الحجة من سنة ٤٠٠ هـ ، انظر جذوة المقتبس ص ١٨ - ١٩ والبيان المغرب ، ج ٣ ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ١١١ .

(٣) المستعين بالله هو سليمان بن الحكم ، شار على المهدي محمد بن هشام في شوال سنة ٣٩٩ هـ ، دخل قرطبة ثم خرج منها وافسد في الاندلس كثيراً ، الى ان عاد الى قرطبة في شوال سنة ٤٠٣ هـ وقتل سنة ٤٠٧ هـ . انظر جذوة المقتبس ، ص ١٩-٢٢ . والبيان المغرب ج ٣ ص ١١٨ .

(٤) المراكشي : المعجب ، طبعة الجمالية ، " ١٩١٤م " ص ٢٢-٢٤ .

(٥) ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ٩٤ .

ما آلت اليه اوضاع الاسرة قد دفع ابن حزم الى توجيه همه نحو العلم، فأخذ يطلبه على الشيوخ كالرهوري (١)، وأبي القاسم المصري المتكلم (٢)، الذي تعلم عليه ابن حزم الجدل والكلام، وأبي الخيار اللغوي (٣)، الذي كان يميل الى الاختيار، والقول بالظاهر، ولعله أشرف في ابن حزم، ودفعه لاعتناق المذهب الظاهري. كما درس على محمد بن الحسن المذحجي (٤)، وكان متقدما في الطب، والمنطق، والفلسفة وله رسائل في ذلك، أشنى ابن حزم عليه. والوزير أبي عبده حسان بن مالك (٥) وكان فيلسوفا قد درس على والده، إذ يورد اقواله في مواضع متعددة من كتاباته، كما سمع ابن وجه الجنة من أحمد بن سعيد بن حزم (٦).

توفي في سنوات الفتنة شقيق ابن حزم، أبو بكر شم والده، واحدى من كان يأنس بهن (٧)، وبهذا مات السند، والشقيق والحبیب على حد قوله. ثم تبع ذلك التشريد.

(١) الرهوري، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن نامي بن أبيض، كان صالحا مجودا للقران ورعا في دينه. انظر الصلة لابن بشكوال القسم الاول ص ٢٧٠.

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري كان اديبا حافظا للحديث، واسماء الرجال، والاعخبار، خرج من الاندلس وقت وقوع الفتنة، ومات بمصر سنة ٤١٠ هـ. انظر: الصلة ج ٢ ص ٣٥٣، وعويس: ابن حزم ٠٠٠٠ ص ٦٧.

(٣) هو مسعود بن سليمان بن مفلت، فقيه عالم، زاهد، انظر: جذوة المقتبس ص ٣٢٨.

(٤) محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني، جامع للفنون العقلية والفلسفية وله مشاركة في الادب: الجدوة ص ٤٦.

(٥) حسان بن مالك بن أبي عبده الوزير، من الاثمة في اللغة والادب. مدحه ابن حزم كثيرا توفي قبل العشرين واربعمائه، انظر الجدوة: ص ١٨٣.

(٦) ابن بشكوال: الصلة ج ٢ ص ٦٦٣.

* انظر في شيوخ ابن حزم: معجم فقه ابن حزم الظاهري لمحمد الكتاني، مطبعة جامعة دمشق ١٢٨٥هـ-١٩٦٦م المجلد الاول ص ٧٥-٧٨م، وابن حزم الاندلسي حياته وادبه للدكتور عبد الكريم خليفه، دار العربية للطباعة، ومكتبة الاقصى بيروت / عمان ص ٩٦-١٠٣، عبد الحليم عويس: ابن حزم: ص ٦٦-٦٩ والذهبي: سير اعلام النبلاء ج ١٨ ص ١٨٥.

(٧) ابن حزم: طوق الحمامة ص ١١٦، ١١١، ٩١. انظر في نكبات ابن حزم مقال مبروك العوادى: "ابن حزم الظاهري" مجلة الاصاله الجزائرية، م ٤ (١٩٧٥) العدد ٢٥، وبخاصة ص ٢٩.

يقول ابن حزم : "ثم ١٠٠٠ اجلينا عن منازلنا وتغلب علينا البربر، فخرجت من قرطبة، اول المحرم سنة اربع واربعمائة" (١)، متوجها الى المرية . وفي هذه المدينة اطلع على الفلسفة والطب - كما يفهم من قول ابن كثير (٣٧٧هـ) ان ابن حزم " كان طبيبا شاعرا فصيحاً، له في الطب، والمنطق كتب " (٢).

عاود ابن حزم في المرية الاشتغال بالسياسة، لاسترداد حق الامويين، عقب سيطرة الحموديين على قرطبة، بعد مقتل المستعين سنة ٤٠٧هـ (٣). غير ان خيران العامري الولاء، قد تخلى عن مساندة الامويين، وفشلت المحاولة، وسجن ابن حزم مع احد اصدقائه، ثم نفي من بعد الى حصن القصر، حيث قوبل بالترحاب من صاحبه ابو القاسم التجيبي، ابن المقفل (٤)، ولم يمكث ابن حزم طويلا في حصن القصر، اذ اتجه نحو بلنسية، تأييدا لداع اموي جديد هو المرتضى (٥)، وقد ساند خيران العامري المرتضى مع انه كان بالامس، يتلقت أنصاره . لكن غدر خيران كان اكبر من كل ميثاق . اذ تخلى عن المرتضى بعد ان رآه في معركة مع البربر في غرناطة، فهزم الامير، وقتل مع كثير من اصحابه، وأسّر بعض اخره، وكان من بين هؤلاء ابن حزم (٦).

ظلت سيطرة الحموديين على قرطبة، تحت زعامة القاسم بن حمود، الذي حكمها من سنة ٤٠٨-٤١٢هـ (٧). وقد اظهر هذاتامحاً سياسياً، اغرى ابن حزم بالعودة، ولكن حكم القاسم سرعان ما زال، نتيجة تمرد العامة الذين الفسوا الفتنة مع انهم وقودها . وقد وصفهم ابن حزم بقوله : "من أحق من عرفنا قوم شاهدناهم، لا يدرون فيما يبذلون انفسهم، فتارة يقاتلون زبداً عن عمرو، وتارة يقاتلون عمرا عن زيد، ولعل ذلك يكون في يوم واحد، فيتعرضون للمهالك بلا معنى، فيقتلون الى النار، أو يفرون الى العار" (٨).

-
- (١) ابن حزم: طوق الحمامة ص ١١٢ .
(٢) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٩٢ .
(٣) المراكشي: المعجب، طبعة الجمالية ص ٢٤ وابن حزم: طوق الحمامة ص ١١٨ .
(٤) ابن حزم: طوق الحمامة ص ١١٨ .
(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٣ ص ١٢٦ .
(٦) المراكشي: المعجب ط . الجمالية ص ٢٩ ابن عذارى: البيان المغرب ج ٣ ص ١٢٤ .
(٨) ابن حزم الاندلسي: كتاب الاخلاق والسير، او رسالة مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق والزهد في الرذائل، تحقيق ايثارياض، ابسال السويد، ١٩٨٠م، ص ٢٦ وسيشار اليه ابن حزم: الاخلاق والسير

اتفق اهل قرطبة على تنصيب رجل اموى اميرا عليهم ، باعتبار الامويين هم اصحاب هذا الحق . وقد وقع الاختيار على عبدالرحمن بن هشام المستظهر بالله سنة ٤١٤ هـ (١) . وقد اتخذ هذا ابن حزم وزيرا له (٢) .

ولكن سرعان ما اشار محمد بن عبدالرحمن، المستكفي على ابن عمه المستظهر وقتله بتأييد بعض العامة ، وكان المستكفي ، " في غاية السخف وركاكة العقل " وكان المدبر لامره حاكك يعرف باحمد بن خالد فقل في دولة يديرها حاكك (٣) . وقد سجن هذا الوزير ابن حزم مع غيره من رجال المستظهر . ورغم زوال حكم المستكفي سريعا ، واختيار القرطبيين لاموى اخر ، هو المعتد بالله سنة ٤١٨ هـ (٤) فإن ابن حزم لم يعد بعد كل ما حدث له ، راغبا في العمل السياسي ، لاسيما مع سقوط دولة الامويين نهائيا سنة ٤٢٢ هـ (٥) .

واضح مما سبق ان ابن حزم لم ينقطع عن العلم والتعليم ، ابان اشتغاله في السياسة ، لكنه لم يقف حياته كلية على العلم ، الا بعد سنة ٤٢٢ هـ حيث ايقن ان الخرق أكبر من يرتق ، وأن العرش اصعب الاسترداد ، وان الاخلاق قد تدهورت ، فالأصدقاء تحولوا الى أعداء ، واستعان بعضهم على بعض بالنصاري ، فانتشرت الفاحشة ، وعمت الماسي (٦) ،

-
- (١) المراكشي : المعجب (ط الجمالية) ص ٣٠ . والذخيرة في محاسن الجزيرة ق ١ م ١٣٥ . والمستظهر هو عبدالرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرحمن الناصر انتخب خليفة سنة ٤١٤ هـ ، وقتل بعد ٤٧ يوما . انظر جذوة المقتبس ص ٢٤ .
- (٢) المراكشي : المعجب ص ٣١ . والذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ق ١ م ١٣٦ .
- (٣) المراكشي : المعجب (ط الجمالية) ، ص ٣١-٣٢ .
- (٤) المصدر السابق ص ٣٣ .
- (٥) ذكر ياقوت الحموي في معجم الادباء ج ١٢ ص ٢٣٧ ، ان ابن حزم وزير للمعتد بالله ، ولا جد لهذا سندا في التاريخ . يقول ابن بسام في الذخيرة : " واحتاج حكم (أي حكم القزاز وزير المعتد) الى رجال يستعين بهم في تدبيره ، فلم يهتد الا الى كل نفل دغل ، وماجن سفيه ، أو سوقي رذل " (ابن بسام : الذخيرة . القسم الثالث المجلد الاول ص ٥١٨-٥١٩ و) (ابن عذاري البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٨) . والوصاف التيذكرها ابن بسام ، وابن عذاري ، تحملنا على استبعاد عمل ابن حزم للمعتد بالله .

- (٦) مثال ما ذكره ابن عذاري ان العامة " دخلوا على رجل صالح فذبح في داره ونهبت ديار البربر وهناك حريمهم وسي نسائهم ، وباعوهن في دار البنات وقتلوا النساء الحوامل ، واستنزل (رجل) من داره فقتل وربط في رجله حبس وجريه الى حفرة بجوار داره ، فالقي فيها . انظر ابن عذاري البيان المغرب ج ٣ ص ٨١ .

والفتن : فـ"شرب الخمر ظاهر ، والزنا مباح ، واللواط غير مستور ، ولاتـــــرى
الا مجاهرا بمعمية" (١)، ومن هنا رأى الفيلسوف ان " نوار الفتنة لا يعقد " (٢)، فأثر
ان يسكن الى ركن العلم ، قائلا: " انا زاج من الله تعالى، في ذلك الاجـــــر،
لنيتي في نفع عباده ، واصلاح مافسد من اخلاقهم، ومداواة عليل نفوسهم " (٣).

درس ابن حزم المذهبيين: المالكي ، والشافعي، ورأى ان الاجتهادات الشخصية،
والقول بالرأى هما من بين العوامل التي ساعدت على التفتت السريع للمجتمع، فانتقل
الى القول بالظاهر " (٤). وبهذا بدأت مرحلة صراعه مع الفقهاء " الذين ساعدوا الحكام
عليه، فمقتوه واذوه وطردوه، وحرقوا كتبه علانية " (٥) ومع ذلك فان ابن حزم
لم يكن، ومضى في فضح الفقهاء الذين سوغوا للحكام ظلمهم باسم الدين،
حتى " اصبحوا بين آكل من حلوائهم ، وخابط في أهوائهم ، وبين مستشعر مخافتهم،
آخذ بالتقية في صدقهم " (٦) لقد كان هؤلاء " أكبر عضد لامراء الطوائف فـــــي
تبرير طغيانهم، وتركبة تصرفاتهم الجائرة ، وابتزازهم لاموال الرعية " (٧).

انتهت مواجهة ابن حزم لفقهاء المذهب المالكي السائد ، بأن جرّ على نفسه
عداء العامة ، فطورد وضيق عليه ، وكره ومقت. ومن أسباب هذا الموقف كره علماء
العصر لقول الحق ، وخروج ابن حزم على المذهب المالكي السائد ، وتعلقه بالظاهر،
وهم قوم لا يطبقون المخالفة ، ويتعصبون لانفسهم ولو كانوا على خطأ. ومن هنا رأينا
العامة تقتل رجلا " من وجوه العلم قال في المسجد الجامع : اللهم اصلح
علينا " (٨)، كما قتلوا آخر في المكان نفسه قال : " ان الله احب الصلح وامر

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ١٠٦ . انظر كذلك، ص ١٠٢ .

(٢) ابن حزم : الاخلاق والسير ، ص ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣ .

(٤) المراكشي : المعجب (ط . الجمالية) ص ٢٦ . وابن بسام : الذخيرة ق ١١ ص ١٤٠ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان ج ٤ ص ٢٠٠ .

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٧) محمد عبد الله عنان : " ابن حزم الفيلسوف الاندلسي الذي ارجح لمجتمع

الطوائف " ، مجلة العربي ١٩٦٤م العدد ٦٨ ص ٨٤ وقال ابن حزم يصف الفقهاء

" ولا يفرنكم الفساق والمنسبون الى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب

السباع ، المزينون لاهل الشر شرهم ، والناسرون لهم على فسقهم " . رسائل ابن حزم

ج ٣ ص ١٧٣ .

(٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ص ١٠٣ .

به" (١)، وهكذا صار امثال ابن حزم كما قال صديقه : " غرباء بين المتعصبين" (٢).

ومن الاسباب الاخرى الواضحة لعداء الفقهاء لابن حزم: "جراته على العلماء والأئمة السابقين" (٣)، فقد كان يتحدث عنهم بلغة قاسية ومن ذلك قوله عن السمناني قاضي الموصل: " هذا المبتدع ، الجاهل، الملحد، المتهور " (٤) وهذا الفاسق الملحد" (٥)، في مجال الحديث عن بعض الاشاعرة ، أو وصفه بعض المالكية بالمجرمين و" اضلال المساكين المفترين" (٦)، وكتب ابن حزم مليئة بمثل هذه العبارات وما هو اشد منها في حق الائمة .

ومن اسباب معاداة اهل الاندلس وعلمائها لابن حزم اشتهاره بالدعوة للبنسبي امية (٧)، في عصر رأى الناس فيه ان بني اميه هم السبب فيما حل بهم من مصائب، كما كانت دعوة ابن حزم الى عودة الحكم الاموي متعارضة في الوقت نفسه ، مع ما حمل عليه ملوك الطوائف من مكاسب يتطلعون الى ترسيخها .

يضاف الى كل ما سبق، ان ابن حزم درس علم الأوائل من الفلسفة والمنطق، وأهـل الاندلس يرون هذا كفراً وزندقة، لقد اعتبر الفلسفة ضرورة كالشريعة وأخذ على اهل البلاد جهلهم بها ، ووصفهم قائلًا : " رأيت طوائف من الخاسرين شاهدتهم أيام عنفوان طلبنا ، وقبل تمكن قوائنا في المعارف ، وأوان مداخلتنا صنوفا من ذوى الاراء المختلفة، كانوا يقطعون بظنونهم الفاسدة من غير يقين أنتجه بحث مشوق بهـ

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٣ ص ١٠٣ .

(٢) ابن حزم الاندلسي : رسائل ابن حزم الاندلسي ، ج ٣ ص ١٨٧ .

(٣) الامام الذهبي ، ابو عبد الله محمد (٧٤٨هـ) كتاب تذكرة الحفاظ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ج ٣ ص ١١٥٤ .

(٤) ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد الظاهري : الفصل في الملل والنحل وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (٥ أجزاء)، ج ٤ ص ٢٠٨ وسيشار اليه هكذا : الفصل في الملل والنحل .

(٥) المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١٣ .

(٦) ابن حزم: الاحكام في اصول الاحكام تقديم د. احسان عباس دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٨٣م، ط ٢ (٨ اجزاء) ج ٤ ص ٢١٧، ٢١٩ - سيشار اليه: الاحكام في اصول الأحكام .

(٧) انظر الذخيرة لابن بسام ق ١ م ١ ص ١٤٢ .

على ان علم الفلسفة ، وحدود المنطق منافية للشريعة^(١)، مع ان الفلسفة " على الحقيقة
انما معناها وثمرتها، والغرض المقصود نحوه بتعلمها، ليس هو شيئا غير اصلاح النفس،
بأن تستعمل في دنياها الفضائل، وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها في المعاد وحسن
السياسة للمنزل، والرعية، وهذا هو نفسه لاغيره، هو الغرض في الشريعة، هذا مالا خلاف
فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة، ولا بين أحد من العلماء بالشريعة " (٢) .

دفع هذا العداء بابن حزم الى قبول دعوة والي جزيرة ميورقة - ابي العباس احمد
بن رشيق - . وقد كان هذا رجل دولة وكاتب نابها، وقد استضاف ابن حزم لاسباب غامضة
فيما يقول احد الباحثين (٣)، في الفترة الممتدة ما بين عام ١٠٣٩/هـ ١٠٤٠م وعام ١٠٤٩/هـ ١٠٤٠م
ومن هذا المكان بدأ فيلسوفنا بالدعوة الى المذهب الظاهري .

ان الاسباب " الغامضة " ، في رأينا هي تلك العلاقة القديمة الطيبة التي كانت
قائمة بين ابن رشيق، وآل حزم (٤)، ابان دراسة الاول الادب والفقه، والحديث في قرطبة،
فضلا عما يتمتع به ابن رشيق نفسه، من صفات شخصية دفعته الى محبة العلماء، والصالحين
وايثارهم (٥) .

لم ينعم ابن حزم طويلا بالسكينة، اذ شغّب عليه العامة، والفقهاء واحضروا القاضي
ابا الوليد سليمان الباجي لمناظرته، لم تكن هناك مناظرة في الحقيقة، بل مظاهرة
لطرده ابن حزم من الجزيرة، وقد وصف ابن حزم ماجرى، وكيف قابلة مناظروه، ومن شجعهم

(١) رسائل ابن حزم، التقريب لحد المنطق، (١٩٨٣م)، ط١ ج٤ ص ٢٣١-٢٣٢ . انظر المصدر
نفسه ص ١٠٠-١٠١ .

(٢) الفصل في الملل والنحل، ج ١ ص ٩٤ .

(٣) Omar Faroukh in A History of Muslim Philosophy. by. Sharif P.281

(٤) قال الحميدى عنه : " انه سمع ابا العباس ابن رشيق يقول : " كان الوزير ابو عمر
ابن حزم يقول : اني لاعجب ممن يلحن في مخاطبة، او يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة،
لانه ينبغي له اذا شك في شيء، ان يتركه، ويطلب غيره، فالكلام اوسع من هذا " .

الحميدى : جذوة المقتبس، ص ١١٨ .

(٥) قال الحميدى والنسبي عن ابن رشيق : انه كان " ينظر في أمور جهته التي كان فيها
نظر العدل والسياسة ويشغل بالفقه والحديث، ويجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم " .

الحميدى : جذوة المقتبس ص ١١٥ . وبغية الملتبس : ص ١٧٨ .

فقال : كثر " الايهام بالتضاحك والضحك، والمحاكاة، والتطبيب، والاستجبال، والجفاء، وربما بالسب وانتكفير، واللعن، والسفه، والقذف للامهات والابساء " (١).

وبعد خروجه من جزيرة ميورقة، زار ابن حزم اشبيلية مع ابن عبدالبر (٢)، وهنساك استمر في الدعوة لمذهبه الظاهري، مما زاد من تكتل الفقهاء ضده، وحين عجز " العلمسباء " عن غلبته في ميدان العلم، اتجهوا الى استعداد المعتضد بن عباد عليه، فامر هذا باحراق كتبه (٣)، فعاد ابن حزم الى بلدته القديمة " منة نشيم " بعد ان ضاقت به الاندلس، وفيها نشر كتبه، وظل على هذا حتى آخر حياته، حيث مات بعد ان ترك عشرات الالاف من الصفحات بسلخ شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة " (٤).

واذا اردنا ان نبسط حياة ابن حزم، ونضعها في ادوار فتكون :

١- الدور الاول : دور الطفولة وبداية الشباب، وتمتد من سنة ٣٨٤هـ حتى سنة ٤٠٤هـ وتقسم الى قسمين :

أ - دور القصر، والجواري حتى سنة ٣٩٩هـ .

ب - مرحلة بداية الفتنة، وتلقي العلم على الشيوخ الى ان خرج من قرطبة سنة ٤٠٤هـ .

٢- اندور الثاني : دور الشباب والمرحلة السياسية، وتمتد الى سنة ٤٢٢هـ وتقسم قسمين :

أ - مرحلة الاشتغال بالسياسة فعلياً حتى سنة ٤١٤هـ، مقتل المستظهر .

ب - مرحلة انتقال وتردد ابن حزم بالاشتغال بالسياسة، وبداية الاهتمام بالعلم

الجاد حتى سنة ٤٢٢هـ، سقوط دولة بني امية .

٣- الدور الثالث : مرحلة الاشتغال بالعلم والتأليف المزدهر، والتدريس حتى وفاته .

سنة ٤٥٦هـ، حيث الف في هذه المرحلة، معظم كتبه، وخاصة الدينية، والفقهية .

(١) رسائل ابن حزم - رسالة التقريب اجد المنطق ج ٤ ص ٣٤٢ .

(٢) المقرئ، احمد بن محمد التلمساني : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تحقيق -

د. احسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ج ٢ ص ٨٣ .

(٣) قال ابن حزم بعد احراق كتبه :

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي	تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبـي	وينزل ان انزل ويدفن في قبـري
دعوني من احراق رقي وكاغـد	وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا في المكاتب بسداة	فكم دون ماتنفون لله من سـتر

ياقوت : معجم الادباء ج ١٢ ص ٢٥٢-٢٥٣ وابن بسام الذخيرة ق ١ م ١ ص ١٤٤ .

والذهبي : سير اعلام النبلاء ج ١٨ ص ٢٠٥ .

(٤) صاعد : طبقات، ص ١٠٠ .

د- أخلاقه:

ساقدم في هذا المجال وصفا تحليليا لأخلاق ابن حزم الشخصية، اكشف فيه عن أثر تنشئته الأولى، والبيئة الاجتماعية في أخلاقه، وسيكون لهذا التمهيد فائدة لاحقه في فهم الفلسفة الأخلاقية التي دعا اليها.

ان لتجارب الحياة الأولى، والبيئة المحيطة، أثرا كبيرا. " وقد ادى كشف الغطاء عن تجاربنا في السنوات الأولى من الحياة، الى الايقان بأن كثيرا من تلك الاعراض المرضية والصفات التي كانت تعتبر وراثية فيما مضى، ترجع في الواقع الى ظروف البيئة الأولى." (١)

لقد تحدث ابن حزم كثيرا عن سوء ظنه في نساء القصر، ورجال عصره، ذلك انه نشأ بين جوار يعصمونه عن اتيان الخطأ، ولا يتورعون عنه، مما خلق لديه صورتين للنساء : الأولى: صورة الجوارى اللاتي يبحثن عن اللذائذ والحب، ويخترن الاساليب العجيبة للوصول الى هذا. يقول ابن حزم : " لولا ان اكون منبها على عورات يستعاذ بالله منها ، لاوردت عن تنبههن في الشر، ومكرهن فيه ، عجائب تذهل الالباب " (٢) والثانية صورة النساء النموديات المتزنات اللاتي يمنعن (الصفير) من الخطأ . يقول : " كنت وقت تأجج نار الصبا مقصورا محظرا علي بين رقباء ورقائب " (٣).

ولدى خروج ابن حزم الى الحياة الواسعة، شاهد الاعداء يتحولون الى اصدقاء، والاصدقاء يتحولون الى اعداء - وبخاصة وقت الفتنة - فقال : " من امتحن بان يخالط الناس فلا يلق بوجهه كله الى من يحب، ولا يبين منه الا على انه عدو مناسب، ولا يصبح كل غداة الا وهو مترقب من غدر اخوانه، وسوء معاملتهم، مثل ما يترقب من العدو المكاشف " (٤). ان سوء الظن عند ابن حزم فضيلة، الا اذا أدى " الى ما يلحق في الديانة، أو ما يقبح في المعاملة " (٥)

(١) ج . أ . هادفيلد : علم النفس والأخلاق، تحليل نفسي للخلق، ترجمة محمد عبد الحميد ابو العزم

مكتبة مصر ص ١٨ .

(٢) ابن حزم : طوق الحمامة : ص ١٢٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٦ .

(٤) ابن حزم : الأخلاق والسير ص ٣٤ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٨ .